﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩﴾

[يونس: 39]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الدّافِعُ لإنْكارِ القُرْآنِ هوَ العِنادُ لا الشُّبُهاتُ

ذكرَ القرآنُ حقيقةَ إنكارِ المُشْرِكين، فهو العنادُ لا الشُّبهاتُ، فإنَّه "لمّا أقامَ الدَّليلَ على أنّ القرآنَ كلامُه، وكان الدَّليلُ إنّما مِن شأنِه أنْ يُقامَ على مَنْ عرَضَ له غَلَطٌ أو شُبْهَةٌ، وكان قولُهم: ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ لا عنْ شُبهةٍ، وإنَّما هو مجرَّدُ عنادٍ، نبَّهَ سبحانَه على ذلك وعلى أنَّه إنَّما أقامَ الدَّليلَ لإظهارِ عنادِهم، لا لأنَّ عندَهم شُبهةً في كونِه حقًّا بالإضرابِ عن قولِهم، فقالَ: (بل)"[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُحِيطُواْ﴾: حَوَطَ: حاطَهُ يَحوطُهُ حَوْطًا وحَيْطةً وحياطةً: حَفِظَه وتعَهَّدَه[2]. وتَدُلُّ الكلمةُ على التَّمَكُّنِ مِنَ الشَّيْءِ والسَّيْطرَةِ عَلَيْه، وعَدَمِ تَفَلُّتِه. ومِن مَعاني الإحاطَةِ: المَنْعُ أيضًا، كما في قوله سبحانه: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾ [يوسف: 66] والهَلاكُ، نَحْو قولِه تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: 42]، ومنْه الحِفْظُ والجَمعُ، نَحو قولِه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۗ﴾ [الإسراء: 60]؛ أيْ: حافِظُهم وجامِعُهم لا يَفوتونَه[3].

2) ﴿تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾: المعنى المِحْوَريُّ للمادَّةِ: حَقيقَةُ الشَّيْءِ المُتَحصّلةُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/124.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (حوط).
(3) السَّمين الحَلَبيّ، عُمدَة الحُفّاظ: (حوط).

منهُ، أي: صُلْبُ مادَّته الّتي تَخْلُصُ بعدَ تَنْحيَةِ ما يَشوبُها أو يُغَطّيها[1].
ويَدُلُّ التَّأْويلُ على تَبْيينِ مَغْزى الكَلامِ ومَراميهِ.

3) ﴿عَقِبَةُ﴾: تُطْلَقُ العاقِبةُ مُجَرَّدَةً فيما يختصُّ بالثَّوابِ، نَحْو قولِه: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: 83]، وبالإضافةِ قدْ تُستَعْمَلُ في العُقوبةِ، نَحْو: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الرّوم: 10]. والعُقوبَةُ والمُعاقبةُ والعِقابُ يختصُّ بالعذابِ، نَحْو قولِه: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ [ص: 14]. والتَّعْقيبُ: الإتيانُ بشيْءٍ بَعْدَ آخرَ[2].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

في الآيَةِ إضْرابٌ عمّا تَقَدَّمَها إلى بَيانِ أَسْبابِ تَكْذيبِهِم الحَقيقيَّةِ

لَمّا رَأى المُشْرِكون القرآنَ مُشْتَمِلًا على أمورٍ ما عرَفوا حقيقتَها، سارَعوا بجهلِهم إلى التَّكذيبِ أوَّلِ ما سمِعوه، وهُم لَم يُحيطوا بعِلمِ ما فيه، وقبلَ أنْ يقَعَ ما أخبَرَ اللّه تعالى أنَّه آتيهِم مِن العُقوبةِ الَّتي توعَّدَهم اللّه بها على تكذيبِهم بالقُرآنِ، كذلك كذَّبَ الكافرون مِن الأُمَمِ الغابرةِ رُسُلَهم وأنبياءَهم، فانظُرْ يا مُحمَّدُ ﷺ ولا تحزنْ، كيفَ كان مَآلُ المُكَذِّبينَ بآياتِ اللّه مِن الأُمَمِ الماضيةِ، حيثُ أُخِذوا بالخَسْفِ، أو بالغرقِ، أوبالرّيحِ المُدَمِّرَةِ، أو بغَيرِ ذلك.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

### غَرَضُ الإضْرابِ: ﴿بَلْ﴾:

قابَلَ المُشْرِكونَ الحَقَّ بالتَّكْذيبِ لتَقاصُرِ عُلومِهِم عَنِ التَّحْقيقِ

﴿بَلْ﴾ في قولِه: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟﴾ حَرْفُ إضرابٍ وعَطْفٍ، إضْرابٌ لبيانِ حقيقةِ تكذيبِهم، وأنَّ حالَهم في المُسارَعةِ إلى التَّكذيبِ بآياتِ اللّه قَبْلَ تَدَبُّرِها، وتأمُّلِها والنَّظرِ فيها، ومُراجعةِ مَراميها أشْنَعُ مِن التَّكذيبِ نَفْسِه وأعجبُ، إذ إنَّهم بادَروا إلى تَكْذيبِ القرآنِ الكريمِ قَبْلَ أنْ يفقهوه، وقَبْلَ أنْ يَتَدَبَّروه، ويَقفوا على تأويلِه لفَرْطِ نُفورِهم

(1) جَبَل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أول).
(2) الرّاغب، المفردات: (عقب).

مِمّا يخالفُ عقيدتَهم الفاسدةَ، وكذلك دونَ نظَرٍ في أدلَّةِ صِحَّتِه الَّتي أشارَ إليها قولُه: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1]، والغرضُ مِن الإضرابِ في ﴿بَلْ﴾ ذَمُّ المُشْرِكين على تَرْكِ النَّظَرِ في كِتابِ اللّه وتَدَبُّرِه، ودراستِه مع تَيَسُّرِ ذلك، والتَّمَكُّنِ مِنْه، كأنَّه قيلَ: دَعْ عنك تَحَدّيَهم، وإلزامَهم، فإنَّهم ليسوا للخِطابِ أهْلًا؛ لأنَّهم مُقلِّدون مُتهافتون في الأمرِ لا عنْ خُبْرٍ وتثَبُّتٍ وتَعَقُّلٍ[2].

**دلالَةُ التَّعْبيرِ بالماضي في: ﴿كَذَّبُواْ﴾:**

الكَذِبُ شَأْنُهُم، والعِنادُ دَأْبُهُم

عبّرَ بالماضي في قولِه: ﴿كَذَّبُواْ﴾ تحقيقًا لكَذِبهم وبيانِ حقيقةِ أمرِهم، وفي ذلك بيانٌ بأنَّ أمثالَهم لاتُجْدي معهم حُجَّةٌ ولا تهديهم بَيِّنَةٌ.

**سِرُّ التَّعْبيرِ بالمُسْنَدِ إلَيْهِ ضَمير غَيْبَةٍ في: ﴿كَذَّبُواْ﴾:**

الإعْـراضُ عَـنِ المُـشْـرِكـينَ لكَوْنِهم لَيْسوا أَهْلًا للمواجَهَةِ بالخِطابِ

وقعَ المسندُ إليْه ضميرَ غَيْبةٍ إعراضًا عن مواجَهتِهم بالخِطابِ، لكَونِهم في مَنزِلةٍ أخَسّ مِنْ تكريمِهم بالخطابِ.

**مَعْنى الباءِ في: ﴿بِمَا﴾:**

أفادتِ الباءُ معانيَ التَّعديةِ فضلًا عن معاني الإلْصاقِ والملابَسةِ اللَّذيْن لا يفارِقانِها.

**الغَرَضُ مِنَ التَّعْبيرِ بالاسْمِ المَوْصولِ: ﴿بِمَا﴾:**

بَـيـانُ عُـمـومِ جَهْلِهم وتَقْبيحِ أمرِهم

عُبِّر عن القرآنِ بالاسم الموصولِ في قولِه: ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ لبيانِ عمومِ جهلِهم إذْ هو أعمُّ المَوْصولاتِ، وأدْخَلُها في الإبْهامِ، كما أنَّ التَّعبيرَ بالاسمِ الموصولِ يقْتَضي ذِكْرَ جملةِ صلةٍ تتضمَّنُ علَّةَ الحُكمِ.

**بَلاغَةُ التَّعْبيرِ بالكِنايَةِ: ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾:**

قولُه: ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: بما لَم يُتْقِنوا عِلْمَه، وهي كِنايةٌ عن صِفةٍ هي السَّيْطرةُ على الشّيْءِ والتَّمكُّنُ مِنْه، والقبْضُ عليه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/171.
(2) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاويّ: 4/572.

وعَدمُ تَفلُّته. والكِنايةُ في قوله: ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾: للمُبالَغَةِ في وجوبِ التَّأمُّلِ في القرآنِ الكريم، والتَّأنّي قَبْلَ رَفْضِه، وعَدمِ الإيمانِ به، والنُّفورِ مِنْه. وفي الكِنايةِ أيضًا مُبالَغَةٌ في تَجْهيلِ الَّذينَ بادَروا إلى التَّكْذيبِ مِن دونِ تَأمُّلٍ في شَيْءٍ حَقيقٍ بالتَّأمُّلِ بَعْدَ التَّأمُّلِ، كما أنَّ في جملةِ الصِّلةِ إشعارًا بتعليلِ الحُكْم، أي: بيانُ سَببِ عدَمِ علْمِ المُكَذِّبين بالقرآنِ الكريمِ والإيمانِ به، فهُم لكمالِ جَهْلِهم به، وعِنادِهم وتعنُّتِهم، لَم يَعلَموه إلّا بعُنوانِ عدمِ العلمِ به، وبأنَّ تكذيبَهم به إنَّما هو بسبَبِ عدمِ علْمِهم بما أُنْزِل على النَّبيِّ ﷺ[1].

المُبالَغةُ في تَجْهيلِ الَّذينَ بادَروا إلى التَّكْذيبِ مِنْ دونِ تَأمُّلٍ في شَيْءٍ حَقيقٍ بالتَّأمُّلِ

### نُكْتَةُ التعبير بـ: ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾:

عَدَلَ عنْ أنْ يُقال: بما لَم يُحيطوا بهِ علْمًا أو بما لَم يُحِطْ علْمُهم بهِ إلى: ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾؛ للْمُبالَغَةِ، إذْ جُعِلَ العِلْمُ مَعْلومًا. فأصْلُ العِبارَةِ قَبْلَ النَّفْي: أحاطوا بعِلْمِهِ، أي: أتْقَنوا عِلْمَهُ أشَدَّ إتْقانٍ، فلَمّا نُفيَ صارَ: لَم يُحيطوا بعِلْمِهِ؛ أيْ: وكانَ الحَقُّ أنْ يُحيطوا بعِلْمِهِ، لأنَّ تَوَفُّرَ أدِلَّةِ صِدْقِهِ يَحْتاجُ إلى زيادَةِ تَأمُّلٍ وتَدْقيقِ نَظَرٍ بحَيْثُ يَتَعَيَّنُ على النّاظِرِ عِلْمُ أدِلَّتِهِ، ثُمَّ إعادَةُ التَّأمُّلِ فيها وتَسْليطُ عِلْمٍ على عِلْمٍ، ونَظَرٍ على نَظَرٍ بحَيْثُ تَحْصُلُ الإحاطَةُ بالعِلْمِ. والمعنى أنَّهم سارَعوا إلى التَّكْذيبِ بالقُرْآنِ في بَديهَةِ السَّماعِ، قَبْلَ أنْ يَفْقَهوهُ، ويَعْلَموا كُنْهَ أمرِهِ، وقَبْلَ أنْ يَتَدَبَّروهُ، والباءُ للتَّعْديَةِ، وشَأْنُها مَعَ فِعْلِ الإحاطَةِ أنْ تَدْخُلَ على المُحاطِ به، وهو المَعْلومُ، وهو هُنا القُرْآنُ"[2].

الكَشْفُ عَنْ إنْكارِهِم بمُجَرَّدِ السَّماعِ بَداهَةً دونَ تَأمُّلٍ

### دلالَةُ العَطْفِ في: ﴿وَلَمَّا﴾:

جملةُ: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ إمّا أنْ تكونَ عَطْفًا على الصِّلَة أوْ حالًا مِنَ المَوْصولِ، والمَعنى على العطفِ على الصِّلة: لَم يُحيطوا بعلمِه، ولمّا يأتِهم تأويلُه، فيكونُ في ذلك زيادةُ بيانٍ لعنادِهم،

العِنادُ طَبيعَةُ المُشْرِكينَ وخُلُقُهُم فَلا تَفَكُّرَ ولا انْتِظارَ للتَّأْويلِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/666.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/171.

ورفضِهم على البديهةِ دونَ أدْنى تَفَكُّرٍ، ولا أدْنى انتظارٍ، وعلى كونِها حالًا يكونُ المعْنى أنّهم قَرَنوا التَّكذيبَ بحالِ عدمِ انتظارِ التَّأويلِ، وفي كلٍّ ثراءٌ للمَعْنى.

### بَلاغَةُ المَجازِ العَقْليِّ في: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾:

التَّأْويلُ ذو أثَرٍ بالِغٍ في إظْهارِ الحُجَّةِ

إسنادُ الإتْيانِ إلى التَّأويل مجازٌ عقليٌّ، وفيه مبالَغةٌ في بيانِ قدْرِ التَّأويلِ في إظهارِ الحُجَّةِ، وفي المرادِ بالتَّأويلِ وجْهانِ[1]: أحَدُهُما: عِلْمُ ما فيه مِنَ البُرْهانِ، والمعنى: ولَم يَقِفوا بَعْدُ على مَعانيه الوَضْعيَّةِ والعَقْليَّةِ المُنْبِئَةِ عنْ عُلوِّ شَأْنِهِ وسُطوعِ بُرْهانه، والإتْيانُ كِنايةٌ عنِ المَعْرِفَةِ والوُقوفِ، وأوثرَ التَّعبيرُ به؛ للإشْعارِ بأنَّ تِلْكَ المَعاني مُتَوَجِّهَةٌ إلى الأذْهانِ، مُنْساقَةٌ إلَيْها بنَفْسِها انسياقًا تلْقائيًّا.

الثّاني: ما يَؤولُ إلَيْهِ أمرُهم مِنَ العِقابِ، والإتيانُ على هذا المعنى مَجازٌ عنْ تَبَيُّنِه وانْكِشافِه، أي: ولَم يَتَبَيَّنْ لَهم إلى الآنَ تَأْويلُ ما فيه مِنَ الإخْبارِ بالغُيوبِ حَتّى يَظْهَرَ أنَّهُ صِدْقٌ أم كَذِبٌ. والمعنى أنَّ القُرْآنَ مُعْجِزٌ مِن جِهَةِ النَّظْمِ والمعنى، ومِن جِهَةِ الإخْبارِ بالغَيْبِ وهم فاجَؤوا تَكْذيبَهُ قَبْلَ أنْ يَتَدَبَّروا نَظْمَهُ ويَتَفَكَّروا في مَعْناهُ أو يَنْتَظِروا وُقوعَ ما أخْبَرَ بِهِ مِنَ الأُمورِ المُسْتَقْبَلَةِ[2].

### سِرُّ التَّعْبيرِ بـ﴿وَلَمَّا﴾ وإيثارِهِ:

التَّعْبيرُ بـ(لَمّا) يومِئُ إلى حَسْمِ أعْذارِ المُشْرِكينَ، وتَحَقُّقِ بَوارِهِم

كَشَفَ التَّعبيرُ بـ﴿وَلَمَّا﴾ وإيثارُه على (لَم) في قولِه: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ عنْ نفوسِ المُشْرِكين المريضةِ، وأفكارِهم اليابسةِ، وعقولِهم المُتَحجِّرَةِ، حيثُ سارعوا إلى التَّكذيبِ بالقرآنِ الكريمِ قبْلَ عِلمِه المتوقَّعِ إتيانُه، وأبانَ صاحبُ الكَشّافِ عن سِرِّ التَّعبيرِ بـ﴿وَلَمَّا﴾ في بيانٍ صافٍ فقال: "ما معنى التَّوقُّعِ في قولِه: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾؟ قُلت: معناه أنَّهم كَذَّبوا بَه على البديهةِ قبلَ التَّدبُّرِ ومعرفةِ التَّأويلِ،

(1) الماورديُّ، النُّكَت والعيون: 2/436.
(2) الآلوسيُّ، روح المعاني: 11/119.

تقليدًا للآباءِ. وكَذَّبوه بَعْدَ التَّدَبُّرِ، تمَرُّدًا وعِنادًا، فذَمَّهم بالتَّسرُّعِ إلى التَّكذيبِ قَبْلَ العِلْمِ به، وجاء بكلمةِ التَّوقُّعِ ليُؤْذِنَ بأنَّهم علموا بُعْدَ عُلوِّ شأنِه وإعجازِه لمّا كرَّر عليهِم التَّحدِّي، ورازوا[1] قواهُم في المعارضةِ واستَيْقَنوا عجزَهم عنْ مثلِه، فكذَّبوا به بَغْيًا وحَسَدًا[2].

### نُكْتَةُ النَّفْيِ بـ﴿وَلَمَّا﴾:

التَّعْبيرُ بـ (لَمّا) لِلاحْتِراسِ، ولِقَطْعِ أَعْذارِ المُشْرِكينَ

نَفْيُ إتْيانِ التَّأْويلِ بكَلِمَةِ ﴿وَلَمَّا﴾ الدّالَّةِ على التَّوَقُّعِ بَعْدَ نَفْيِ الإحاطَةِ بعِلْمِ القرآنِ الكريمِ بكَلِمَةِ ﴿لَمْ﴾ في قولِه: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾؛ لنُكتةٍ هي تأكيدُ الغارةِ على المُشْرِكين، وذَمِّهم، وتَشْديدُ التَّشْنيعِ عليهم، والتَّشهيرِ بغبائِهم، حيثُ إنَّ الشَّناعَةَ في تَكْذيبِ الشَّيْءِ قَبْلَ عِلْمِهِ المُتَوَقَّعِ إتْيانُهُ أفْحَشُ منها في تَكْذيبِهِ قَبْلَ عِلْمِهِ مُطْلَقًا، والمعنى: أنَّهُ كانَ يَجِبُ عليْهِم أنْ يَتَوَقَّفوا إلى زَمانِ وُقوعِ المُتَوَقَّعِ فلَم يَفْعَلوا. وأمّا أنَّ المُتَوَقَّعَ قد وقَعَ بَعْدُ وأنَّهُمُ اسْتَمَرّوا عِنْدَ ذَلِكَ أيضًا على ما هُم عليْهِ أوَّلًا فَلا تَعرُّضَ لهُ هَهُنا[3].

ورُبَّما كان التَّكذيبُ قبلَ إحاطتِهم بعِلْمِ القرآنِ الكريمِ يوهِمُ لَهُم عُذْرًا ما، فجاءَ التَّعبيرُ بـ﴿وَلَمَّا﴾ للاحتراسِ عن هذا، وللإشعارِ بأنّهم قدْ أحاطوا بعِلْمِه حتَّى تَنْحَسِمَ أعذارُهم، ويتحقّقَ بَوارُهم[4].

### الغَرَضُ مِنْ تَقْديمِ المَفْعولِ:

عَذابُ المُشْرِكينَ آتٍ لا مَحالَةَ، لأَنَّهُمُ المَقْصودونَ

قُدِّمَ المفعولُ بهِ (هُم) على الفاعلِ ﴿تَأْوِيلُهُۥ﴾ لأنَّهم هُم المَعْنيّون بنَفْيِ إتْيانهم تأويلَ القرآنِ، وأيضًا للمُسارَعةِ إلى ذَمِّهم.

### مَوْقِعُ جُملَةِ: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ﴾ ودلالَتُهُ:

تَسْلِيَةُ النَّبيِّ ﷺ

جملةُ: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ استئنافيَّةٌ. والخطابُ للنَّبيِّ ﷺ أو لِمَنْ يَتَأَتَّى مِنْه السَّماعُ. و﴿كَذَٰلِكَ﴾ نَعْتٌ لمصدرٍ محذوفٍ

(1) أي: جرَّبوها وخَبَروها.
(2) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 3/137، والنَّسَفيُّ، مَدارك التَّنْزيل: 2/164.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/666 - 667.
(4) ابن المُنيرِّ، حاشية على الكشّاف: 3/137.

تقديرُه: مِثْلُ ذلك التَّكذيبِ كَذَّبت الأُمَمُ رُسُلَهم قَبْلَ النَّظرِ في مُعْجِزاتِ الأنْبياءِ، وقَبْلَ تَدَبُّرِها مِن غَيْرِ إنْصافٍ مِن أنْفُسِهم، ولَكِنْ قَلَّدوا الآباءَ وعانَدوا الأنبياءَ [1] ﷺ لذا فرَّع على جملةِ التَّشبيه خطابَ النَّبيِّ ﷺ بقولِه: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: عاقبةُ الأمم الَّتي ظلمَت بتكذيبِ الرُّسلِ كما كَذَّب هؤلاء[2].

**الغَرَضُ مِنَ التَّعْبيرِ بالتَّشْبيهِ: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ﴾:**

التَّسْليَةُ بأَحْوالِ السّابِقينَ تُذْهِبُ الـحُـزْنَ وتُثَبِّتُ القَلْبَ

الغرضُ من هذا التَّشبيه ثلاثةُ أمورٍ: الأوّلُ: أنّ هذه عادةُ المُعانِدين الكافِرين ليَعلمَ المُشْرِكون أنّهم مُماثِلون للأُمَمِ الّتي كذَّبت الرُّسلَ فيَعْتَبروا بذلك، والثّاني: التَّعريضُ بالنَّذارةِ لهم بحلولِ العذابِ بهم كما حلَّ بتلكَ الأمم الَّتي عرف السّامعون مصيرَها وشاهدوا ديارَها، والثّالثُ: تسليَةُ النَّبيِّ ﷺ بأنّه ما لَقيَ مِن قومِه إلّا مِثْلَ ما لَقيَ الرُّسُلُ السّابقون مِن أقوامِهم[3].

**الغَرَضُ مِنَ التَّعْبيرِ باسْمِ الإشارَةِ المَوْضوعِ للبَعيدِ:**

بَيانُ شِدَّةِ عاقِبَةِ التَّكْذيبِ

التَّعبيرُ باسْمِ الإشارةِ للبعيدِ ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ لتعظيمِ شأنِ ذلك التَّكذيبِ، والإشارةِ إلى خطورتِه، وشِدَّةِ عاقبتِه.

**الغَرَضُ مِنَ التَّعْبيرِ بالاسْمِ المَوْصولِ:**

تَـشـابُـهُ الـحـالِ يُؤَدّي إلى تَشابُهِ النَّتيجَةِ

عُبِّرَ بالاسمِ الموصولِ في قولِه: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ ليَتَأتّى تعليلُ الحُكْمِ بواسطةِ جملةِ الصِّلةِ، "وإنّ هذه الحالَ مِن المُشْرِكين هي الحالُ الَّتي كانت في الأمم السّابقةِ الَّذينَ بُعِثَ فيهم الرُّسلُ وسارَعوا بتكذيبِهم قبلَ أنْ يتأمَّلوا ما أتَوْا به، وقبلَ أنْ يعرفوا قوَّةَ المعجزةِ، ثمّ لجّوا في تكذيبِهم حتّى نَفَّذَ اللّه تعالى أمرَه فيهم كقولِه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كهذه الحالِ

(1) أبو حَيّان، البحر المحيط: 6/59.
(2) الجَمل، الفتوحات الإلهيَّة: 2/350.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/173.

الَّتي كان عليها المُشْرِكون من العرب في مُسارَعتِهم إلى التَّكذيب واللَّجاجَةِ فيه، ثمَّ المعاندةِ والمقاومةِ بالعنفِ من غيرِ إدراكٍ سليمٍ، وهذه الحالُ هي حالُ الّذين مِن قبلهم، فإذا تشابهتِ الحالُ فلا بدَّ أن تَتَشابَهَ النَّتيجةُ أو الأثرُ، ولذا قال سبحانه: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾"[1].

كُفّارُ مَكَّةَ ومَنْ حَوْلَها يَنْتَهِجونَ نَهْجَ أَسْلافِهِم في العِنادِ والخُصومَةِ واللَّجاجِ والتَّكْذيبِ

### دلالَةُ اسْتِخْدامِ ﴿مِن﴾ قَبْلَ الظَّرْفِ:

أُثْبِتَ الجارُّ في قوله: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ للإشارة إلى المُكَذِّبين من كُفّارِ الأُمَمِ الخاليَة، وأنَّهم ظَلَموا فأُهْلِكوا بظُلْمِهم[2]. وعليه فمعنى ﴿مِن﴾ هُنا: التَّبعيض، فكُفّار مكَّة ومَن حَوْلها ينتهجون نَهْجَ أسلافِهم في العِناد والخصومةِ واللَّجاجِ والتَّكذيب. إنَّها سِلْسِلةٌ طويلةٌ ومُتَّصِلةٌ من الكُفرِ يواجهُها أنبياءُ اللّه ﷺ على مَرِّ الأزمان بعزيمةٍ وثباتٍ وإصرارٍ على إبلاغِ دعوةِ اللّه تعالى، ومِن المُمكِنِ أنْ تكونَ ﴿مِن﴾ مشيرةً إلى مَن سبقَهم مِن الأمم مباشرةً، وفيه من التَّرهيبِ ما فيه، لكَونِ مَن سبقَهم أقربَ زمانًا ومكانًا فيكونُ أقوى ردعًا وتخويفًا.

الخِطابُ لِلرَّسولِ صَلّى اللهُ تَعالى عَلَيْهِ وسَلَّمَ

### دلالَةُ الفاءِ وفِعْلِ الأَمرِ في: ﴿فَٱنظُرْ﴾:

الفاءُ في قولِه: ﴿فَٱنظُرْ﴾ كَما قال الآلوسيّ لتَرْتيبِ ما بَعْدَها على كلام مَحْذوفٍ يدلُّ عليه السّياقُ تقديره: فَأَهْلَكْناهم، فانْظُرْ[3]. والخِطابُ للرَّسول ﷺ ويُحْتَمَلُ أنْ يَكونَ عامًّا لكُلِّ مَن يَصْلُحُ لَه. والأوَّلُ أَوْلى؛ لدخولِه في بابِ تسليَتِه ﷺ، وأمّا دلالةُ الفعلِ ﴿فَٱنظُرْ﴾، فهي للتَّعجُّبِ والاعتبارِ.

انْفِكاكُ الاسْتِفْهامِ عَنْ (كَيف)

### دلالَةُ ﴿كَيْفَ﴾ بَيْنَ اسمِ المَصْدَرِ والاسْتِفْهامِ:

﴿كَيْفَ﴾ هُنا إمّا أنْ تكونَ في مَوْضِعِ نَصْبٍ خَبَرِ كانَ، وإمّا أنْ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3573/7 - 3574.
(2) البِقاعيّ، نَظْم الدُّرَر: 9/125.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/120.

تكونَ اسمَ مَصْدرٍ، وفي هذه الحالةِ ينْفَكُّ عنها معنى الاستفهامِ، وهي هُنا تَحْتَمِلُ ذَلِكَ[1]. والمعنى: انظُرْ بعَينِك حالَةً صِفتُها: كان عاقبةُ المُكَذِّبين، ويجوزُ أن تكونَ ﴿كَيْفَ﴾ استفهاميَّةً والمعنى: فانظرْ هذا السّؤالَ، أي: تدبَّرْهُ وفكِّرْ فيه، ويكونُ غرضُ الاستفهامِ الإنكارَ والتَّعجيبَ من حالِهم.

**سِرُّ الإضافَةِ العاقِبَةِ: ﴿عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:**

سَبَبُ هَلاكِهِم هوَ رُسوخُهُم في الظُّلْمِ، وتَمَرُّدُهُم عَلى الحَقِّ

المُرادُ بالظّالمين: المُكَذِّبونَ مِن الأُمم الغابِرةِ. وفي إضافةِ العاقبةِ إلى الظّالمين إشارةٌ إلى سَبَبِ هلاكِهم وهو رسوخُهم في الظُّلْم، وتَمرُّدُهم على الحَقِّ، وإعراضُهم عن التَّصديقِ والإيمان، وهذه الجُملةُ: ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في قوَّةِ قولِه: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْۚ﴾ [الشّعراء: 139][2].

**الغَرَضُ مِنْ وَضْعِ المُظْهَرِ مَوْضِعَ المُضْمَرِ في: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:**

تَبْشيعُ التَّكْذيبِ بوَصْفِهِ ظُلْمًا

عُدِلَ عن الإضمارِ إلى الإظهارِ في قولِه: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ حيثُ كان الظاهرُ أنْ يُقال: فانظرْ كيف كان عاقبتُهم؛ "لِلْإيذانِ بكَوْنِ التَّكْذيبِ ظُلْمًا بَيِّنًا، وبأنّه عِلَّةٌ لما حاق بهم مِن سوءِ العاقِبَةِ، وبِدُخول هَؤُلاءِ الَّذينَ حَكى عنْهم ما حَكى في زُمرَتِهم جُرْمًا ووَعيدًا دُخولًا أوَّليًّا، ولِبَيانِ أنّهم ظلموا أنفسَهم وظلموا الأنبياءَ الّذين أُرْسِلوا إليهم، وأنكروا حقائقَ ثابتةً قد خلتْ فيمَنْ ظَلموا[3].

**مَعْنى (أَلْ) في: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:**

الأفضلُ أنْ تكونَ (أَلْ) هُنا جنسيّةً لتَعُمَّ جميع صُنوفِ الظّالمين في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، بدلًا منْ أنْ يُرادَ بها صِنْفٌ مُحَدَّدٌ منهم.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/667.
(2) الجَمَل، الفتوحات الإلهيَّة: 2/350.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/667.

### الغَرَضُ مِنْ حذفِ مُتَعَلّقِ: ﴿فَٱنظُرۡ﴾:

تَوْسيعُ النَّظَرِ في عاقِبَةِ السّابِقينَ أَشَدُّ تَخْويفًا

معمولُ الأمرِ بالنَّظرِ محذوفٌ تقديرُه: فانظرْ على أيِّ حالٍ كانت عاقبةُ الظّالمين، والغرضُ من ذلك توسيعُ دائرةِ النَّظرِ للتَّخويف والاعتبارِ لتعدُّدِ عواقبِ السّابقين، فقد "كانت ريحًا صرصرًا عاتيةً، أو ريحًا فيها عذابٌ شديدٌ، أو جَعلَ أرْضَهم دكًّا عاليها سافِلها أو خَسَفَ بهم الأرضَ أو غيرَ ذلك من آياتِ اللّه الكُبرى في الَّذين يَظلمون أنفسَهم ويَظلمون الحقَّ معهم، وإذا كان اللّه قد أمهلَ المُشْركين ولم يُنْزِلْ بهم ما أنزلَ بالَّذين مِن قَبْلَهم - مِن الخَسْفِ أو العذابِ الشَّديد - فلِكَي يستمرَ اختيارُهم، وعسى أنْ يُخْرِجَ اللّه مِن أصلابِهم مَنْ يَعْبُدُه"[1].

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### العاقِبَةُ والمَصيرُ:

تَأْتي كَلِمَةُ (المَصير) في سِياقِ سوءِ العاقِبَةِ غالِبًا

تَشتركُ الكلمتانِ في الدّلالةِ على الخاتِمَةِ أوالنَّتيجةِ، وتنفردُ كلمةُ المصيرِ بالدّلالةِ على سوءِ العاقِبةِ غالبًا، بخِلافِ كلمةِ العاقبةِ الَّتي تَحْتَمِلُ عاقبةَ الخَيْرِ أو العذابِ.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3574.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 19 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-16-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 19 : المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-16-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»